استشراف المستقبل: أساليب التنبؤ بالمستقبل في التفاعلات الدولية السيناريو نموذجا

Foreseeing The Future: Methods for Predicting the Future in International Interactions: Scenario Model

مشاور صيفي*
جامعة أدرار – الجزائر
med20malak20@yahoo.fr

تاريخ الارسال:2022/02/26 تاريخ القبول:2022/05/22 تاريخ النشر:2022/06/15

ملخص:

يُعتبر موضوع استشراف المستقبل من الحقول المعرفية الصعبة والمهمة في الدراسات الإستراتيجية. وتتم عملية الاستشراف وفق مناهج وتقنيات دقيقة ومحددة، يختارها الباحث تبعًا لطبيعة الظاهرة محل الدراسة وللقدرات البحثية المتاحة، ويُعد السيناريو التقنية الأكثر توظيفاً في مجال الدراسات المستقبلية والأسهل للباحثين كونها –على عكس كل التقنيات الأخرى– الأبسط والأكثر شمولاً لتحليل الظاهرة عبر كل الاحتمالات الممكنة الحدوث، حيث إن السيناريو كذلك يقدم عملية تجزئة وتفكيك للظاهرة محل الدراسة إلى مكونات أبسط مما يُسهّل التعرف إلى تاريخ الظاهرة والكشف عن طبيعة التأثيرات المتبادلة لهذا التاريخ ومجموعة القوى التي شكّلته.

كلمات مفتاحية: الدراسات المستقبلية. السيناريو. البدائل الممكنة. التنبؤ المستقبلي. التقنيات والمناهج.

Abstract:

The subject of future foresight is one of the difficult and important files in strategic studies, where the foresight process is carried out according to precise and specific methods and techniques, chosen by the researcher according to the nature of the phenomenon under study and the available research capabilities, and the technical scenario is the most employed in the field of future studies. It is easier for researchers because it is - unlike all other techniques - the simplest and most comprehensive to analyze the phenomenon through all possible possibilities, as the scenario also presents a process of fragmentation and dismantling of the phenomenon under study into simpler components, which facilitates the identification of the history of the phenomenon and the detection of the nature of the mutual effects of this history and the set of forces that shaped it.

Keywords: future studies. scenario. possible alternatives. future prediction. techniques and approaches.

*المؤلف المرسل

مقدمة

أضحت التحولات والتغيرات المستقبلية في العلاقات الدولية من بين الاهتمامات الرئيسية لدارسي العلاقات الدولية، ذلك أن التغيُّر أضحى السمة الرئيسية التي تميز هذا الحقل من حقول المعرفة الإنسانية. وهذا هو السبب الذي دفع البعض إلى الاعتقاد بأن "سرعة التغير نتيجة التطور التكنولوجي أصبحت تشكل الاهتمام الرئيسي للقادة السياسيين ولعامة الناس في كل مكان.

فالتحولات التي تطرأ على الدولة القومية وعلى النظام الدولي تجعل الحاجة ملحة لتوفير معرفة علمية يمكن الاعتماد عليها لمعرفة المستقبل، وإذا كانت هذه المعرفة ضرورية لتحديد طبيعة التغير ولوضع طرق وسبل التأثير في هذا التغير، فإن مشاكل التنبؤ بالمستقبل عويصة جدا . لذلك فإن خطورة واستعجال المشاكل والتحديات التي تواجه المجتمعات والأنظمة السياسية بمختلف أشكالها ودرجات تقدمها سوف تدفع إلى التعجيل بعملية البحث في ميدان نظرية العلاقات الدولية على وضع الأسس الفكرية والمعرفية لحقل فرعي يمكن تسميته بدراسة المستقبل أو الاستشراف.

إذا كان الاستشراف يمثل مقارنة منظمة لتحديد واستكشاف أهم التحولات في العلاقات الدولية، فإن مختلف نظريات هذا الحقل لم تتوصل إلى تحديد مكانته أو الإطار الفكري النظري الذي ينتمي إليه. وهو ما دفع المهتمين بهذا الميدان إلى الانطلاق في البحث عن الأطر المنهجية والمعرفية التي تستجيب لخصوصيات هذا الحقل وتسمح من تحقيق مآربه النظرية والعلمية، فدراسة المستقبل تمثل مقارنة شاملة ومتعددة المستوى لفهم تطور العلاقات الدولية.

ومع ذلك فإن المحاولات المنهجية والنظرية في ميدان الاستشراف لم تتمكن من بناء نظرية مكتملة في هذا الميدان، الأمر الذي حتم على المهتمين بمعرفة تطورات المستقبل على الاستعانة في الكثير من الحالات بالأدوات المنهجية المستعملة في حقول علمية أخرى وذلك بالرغم من عدم ملاءمتها في بعض الأحيان لطبيعة الاستشراف، ولكن أهمية الموضوع تدفع باتجاه مواصلة البحث عن الإطار المنهجي الكفيل بتوضيح التطورات المستقبلية للظواهر الدولية.

فالدراسات المستقبلية كحقل معرفي ينتمي إلى تخصص العلاقات الدولية يتميز بكونه يستخدم مجموعة من التقنيات والمناهج العامة بشكل متداخل فيما بينها بغية الوصول إلى النتائج الأكثر دقة، هذه التقنيات والمناهج تختلف في مميزاتها وأساليب توظيفها فمنها المعيارية والكمية ونماذج المحاكاة والنمذجة. والسيناريو من المناهج المعيارية (الإرشادية) التي تعطي نوعا من الوحدة المنهجية وتقدم إمكانات بديلة للمستقبل وتوفر عرضاً متنوعا للخيارات المتاحة أمام الفعل الإنساني. يبحث هذا المقال في أساليب توظيف تقنية السيناريو وخطواتها في الدراسات المستقبلية وفوائد ذلك على فهم الظاهرة المستقبلية؟

أولا: مناهج الاستشراف (السيناريو نموذجا)

لقد تعددت العوامل والاعتبارات التي تجعل من البحث عن الأدوات المنهجية والمصطلحات الدقيقة الكفيلة باكتشاف وتحديد التحولات والتغيرات المستقبلية في العلاقات الدولية من بين الاهتمامات الرئيسية لدارسي العلاقات الدولية، وقبل مواصلة البحث في تحديد مكانة الاستشراف بين نظريات العلاقات الدولية ينبغي الوقوف عند تحديد مفهوم الاستشراف من خلال ما تراكم من معرفة في هذا الميدان. ففي الأدبيات السياسية العربية يمكن الوقوف على مصطلحات متنوعة ومتعددة وأحيانا متضاربة للدلالة على دراسة المستقبل، وقد كان هذا التنوع والتعدد نتيجة لقلة المحاولات العربية في هذا الميدان، ونتيجة لاقتصار المهتمين العرب على الترجمة من لغات مختلفة تستعمل مصطلحات غير متجانسة لتحديد مفهوم فن دراسة المستقبل.

ففي الدول الأنجلوساكسونية يستعمل المهتمون بالموضوع مصطلحين أساسيين : **Futurology** وترجم إلى العربية بالمستقبلية، ثم **Futurism** وهو مصطلح استعمله العالم الأمريكي ألفن توفلر **Alvin Toffler** في كتابه الشهير "صدمة المستقبل " ويدل على حركة فنية أو اتجاه فني مفرط في معاداته لكل ما هو تقليدي[1]. أما الناطقون باللغة الفرنسية فيستعملون مصطلح **Futurologie** وترجم إلى اللغة العربية بعلم المستقبل أو أحيانا أخرى المستقبلية، ثم لفظ **Prospective** الذي اخترعه لأول مرة عالم المستقبليات الفرنسي غاستون بيرجي **Gaston Berger** الذي يعني لغويا الفحص والتدقيق في الشيء أو الظاهرة بانتظام. ومن ثم يبدو أن الاستشراف في اللغة العربية أقرب إلى هذا المصطلح الفرنسي. إذ أن الاستشراف عند العرب " يعني تحديد النظر إلى الشيء بشكل يجعل الناظر أقوى على إدراكه واستبيانه...ومن هنا كان استشراف المستقبل هو النظر إلى الزمن القادم ببصر حديد ونظر ثاقب بغية تصور الواقع المقبل انطلاقا من شرفة الحاضر واستيعابا لعبر الواقع الراحل".[2]

وانطلاقا من هذه الحقيقة يمكن التأكيد على أساس أن الاستشراف يبنى على فهم وتحديد المتغيرات والعوامل التي كانت بمثابة المعالم الرئيسية لكل من الماضي والحاضر، ولكن ذلك لا ينفي إطلاقا ضرورة التكهن بالمتغيرات والعوامل غير المرئية والتي قد تبرز في أي محطة من محطات الزمن القادم لتؤثر في مشاهد وصور المستقبل. ومن هنا يبدو أن الاستشراف عبارة عن عملية متواصلة عبر الزمن ليس القصد منها تحديد تفاصيل المستقبل والتنبؤ به بقدر ما تهدف إلى اكتشاف البدائل المستقبلية المختلفة ثم توفير الوسائل والقدرات التي يمكن أن تحدث تغييرا في هذه البدائل بما يخدم المصلحة الوطنية للوحدة السياسية. ومن ثم فإن الاستشراف، كما عرفه د. إبراهيم سعد الدين عبد الله وآخرون، هو:" اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتمعات، وعبر فترة زمنية مقبلة تمتد لأبعد من عشرين عاما، وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، ولاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع. بهذا الشكل فإن استشراف المستقبل لا

يستبعد أيضا إمكانية استكشاف نوعية وحجم التغيرات الأساسية الواجب حدوثها في مجتمع ما، حتى يتكون مستقبله على نحو معين منشود"[3]. وهو ما يعني أن عملية الاستشراف لا تتوقف عند حدود المستوى الثقافي والأكاديمي النظري الذي يهتم أساسا بتحديد بدائل المستقبل والعوامل المؤثرة في كل منها، بل يمتد إلى وصف الإمكانيات والوسائل الضرورية لإحداث التأثير المناسب على تلك البدائل حتى لا يتناقض حدوثها وتطورها مع المصلحة الوطنية للدولة.

تسعى نظرية العلاقات الدولية كبقية نظريات العلوم الإنسانية إلى توفير الوسائل المنهجية الكفيلة بتحسين إدراكنا وتحليلنا لظواهرها في أي وقت وفي أي مكان. لكن قوة ومقدرة هذه النظريات على تفسير ظواهر اجتماعية وقعت في بيئات وأزمنة مختلفة عن تلك التي أثرت على واضعي هذه النظريات تتلاشى منذ الوهلة الأولى من محاولة إسقاطها على هذه الظواهر.لذلك فإنه إذا كان من المفروض على النظرية العامة في العلاقات الدولية–كما أكد كوينسي رايت -**Quincy Wright** أن تساهم في فهم،استشراف، تقييم ومراقبة العلاقات بين الدول والأوضاع العامة للعالم[4]، فإنها لحد الآن لم تتمكن وضع الأسس العامة لتكوين نظرية خاصة بالاستشراف في العلاقات الدولية. وما تم تحقيقه في هذا المجال هو استعارة بعض الأدوات والتقنيات المنهجية من حقول أخرى مثل العلوم الاقتصادية.

إن الاستشراف كذلك هو فن وعلم استكشاف المستقبل لأنه يوفر مناهج وتقنيات يمكن أن تساعدنا في فهم التوجهات والتعرف على الفرص وتجنب المخاطر، كما يمكن للاستشراف أن يساعدنا على تفهم التطورات الممكنة في المستقبل، وفي اتخاذ قرارات أفضل، وبلورة أهداف ذات قيمة وإيجاد الوسائل لتحقيق هذه الأهداف.

وإذا كانت عملية الاستشراف تبحث عما يخبئ المستقبل؟[5] بتعبير "روبرت بالدوك"، أو تستعرض "ملفات المستقبل"، عن طريق عرض "موجز في تاريخ السنوات الخمسين المقبلة، بتعبير "رتشارد واطسون"، عندما تحدث عن أهم السيناريوهات في السنوات الخمسين المقبلة[6]. فإن "لورنس سميت"**Laurence C. Smith**" يتحدث في كتابه " العالم في العام 2050" " **The Word In 2050"**، عن أربع قوى توجه الحضارة في الشمال[7]. أما "إدوارد كورنيش""**Edward Cornish**"فيتحدث عن "الاستشراف: مناهج استكشاف المستقبل"،"[8]**Futuring :The Exploration Of The Futur**. ويرى "إدوارد كورنيش" أنه حتى نفهم ما يحصل في العالم بواسطة التوجهات السائدة و فهم المستقبل علينا أن نستخدم السيناريوهات: وهي تخمينات حول ماذا يمكن أن يحصل في المستقبل ؟

وتبدو أهمية الاستشراف في أنه استعداد لما يمكن مواجهته في المستقبل، واستباق للاستعداد لاحتياجات ذلك المستقبل، كما أنه تنبيه على توقّع ما لا يمكن توقّعه وهو يمثل نوعاً من التخيّل المثمر[9].

ويمكن القول أن الاستشراف هو عبارة عن اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة البعيدة عن أمور التكهن والاعتبارات الشخصية، وهو يخضع للأساليب العلمية التي تقوم على تحليل

الماضي والحاضر وتفنيد العوامل والمتغيرات المؤثرة، وبالتالي فالاستشراف العلمي يتوقف على كمّ ونوع المعرفة العلمية المتوفرة عن الواقع للظاهرة المراد دراستها[10].

1. توظيف تقنية السيناريو في الدراسات المستقبلية:

يتطلب توظيف تقنية السيناريو من الباحث التفكير في كل ما يُحتمل حدوثه وما لا يمكن حدوثه، بحيث يضع خطوطاً عريضة للتغيّر في عدة أبعاد ومن ثمة يجري تحليلاً جزئياً للأبعاد المحددة كمياً باستخدام تحليل الاتجاهات والسلاسل الزمنية، وكذلك استخدام التحليل التقاطعي للكشف عن العلاقات المتوقعة بين الأبعاد السابقة، وبعد الانتهاء من المرحلتين السابقتين تأتي مرحلة تخطيط السيناريو وكتابته، وهنا يمكن القول بأن عملية اختيار أبعاد ومجالات ومتغيرات السيناريو تتوقف على طبيعة عقل المُخطط وطبيعة البيئة والاتجاهات الفكرية والأنماط العقائدية السائدة[11].

1.1. خصائص السيناريو:

السيناريو عموماً يتميز بالخصائص التالية:

1.هو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضح لملامح المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض، والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة، فهذا هو الحد النهائي لكل طرق البحث المستقبلي[12].

2.مصطلح السيناريو من أكثر المصطلحات استخداما في أدبيات التخطيط المستقبلي، وقد عُرف منهج السيناريو على أنه توقع افتراضي تتابعي لوقوع الحوادث ذات العلاقة بهدف تركيز الاهتمام في العلاقات السببية ومجالات اتخاذ القرار، فمنهج السيناريو أحد المناهج التي يتطلبها استخدام منهج تحليل النظم، إذ يأتي السيناريو ليعطي صورة عن مخرجات النظام من الحوادث، ويعد كذلك من أهم مناهج الدراسات المستقبلية[13].

3.السيناريو وصف لسلسة من الأحداث التي يمكن أن تحدث في المستقبل وتتم صياغتها كما يأتي: 1-دراسة وقائع الحالة-2 اختيار شيئا ما يحتمل أن يحدث-3 تخيل مختلف الطرق التي يمكن أن يحدث فيها التطور المتوقع وسلسة الأحداث المتوالية[14].

4.السيناريو قصة متسلسلة، منطقية، ترسم حدثاً مفترضاً مستقبلياً يتضمن مجموعة من الاحتمالات والحلول والنتائج والمعالجات. وبالإمكان تسميته بالسيناريو الفكري إذا تحدثنا عن الدراسات المستقبلية وهو من أهم أدواتها.

2.1 صفات السيناريو الجيد:

السيناريو عبارة عن عملية افتراضية، وخطوات عريضة لما حدث وسيحدث، كما أنه يعبّر عن أطوار متعددة وعن تصور كلي شامل. ومن سمات السيناريو الجيد النقاط الآتية:

1.تنوّع خيارات المستقبل.

2.ألا يكون معقّدا وخياليا يصعب كشف نتائجه.

3.أن يكون واقعياً بالنسبة إلى الظرف المستقبلي، أي ينبغي أن تكون أحداثه محتملة الوقوع فعلاً.

4.لابد للمخطط للسيناريو أن يرسم له بداية وعقدة ونهاية، فضلاً عن معرفة مواطن الضعف والقوة فيه.

5.اعتماد المنطق الاستقرائي في حساب الاحتمالات، واعتماد دراسة الجدوى كأهم عناصر السيناريو، والأول يأخذ بالحسبان تسلسل الأحداث من زاوية الفكر والانسجام، أما الثاني فيكون لقياس حجم النجاح أو الفشل أو التطبيق.

6.اعتماد المناهج المختلفة بحسب تنوع حجم المشكلة، وهي المنهج التحليلي، النقدي، الاستقرائي، الافتراضي والتنبؤي والتأويلي مع العديد من المناهج الأخرى المقاربة للعمل.

7.الاعتماد على التقنيات والعلوم الحديثة للمساعدة في رسم السيناريو منها الاجتماع والنفس والانثروبولوجيا والفلسفة والبيئة والقانون والسياسة والاقتصاد وتبني قاعدة البيانات الخاصة بتلك العلوم.

3.1. خطوات بناء السيناريو:

من بين الطرق في صياغة السيناريو إسقاط توجه سائد باتجاه المستقبل، لكن هذا يعطينا نوعًا واحدًا فقط من السيناريوهات، وصياغة أنواع أخرى مهمة لأن معظم التوجهات، إن لم يكن كلها، ستغير من اتجاهها وسرعتها مع مرور الزمن في النهاية. بالإضافة إلى ذلك فإن التغيرات المتسارعة في عالم اليوم تجعل من المرجح، أكثر من أي وقت مضى، ألا يستمر أي توجه كما يمكن أن نتوقع اليوم، لهذا فإننا محتاجون لأن نستخدم مخيّلتنا وتقنيات خاصة لتوليد الأفكار لبلورة مفاهيم حول ماذا يمكن أن يحصل فيجعل المستقبل مختلفا عن ما يمكن أن توحي به التوجهات السائدة اليوم[15].

ومن الآليات التي يمكن تطبيقها في حالات عديدة صياغة ثلاث بدائل لسيناريوهات بدلا من واحد فقط: يفترض الأول أن التوجهات الحالية ستستمر بدون تغيير يذكر، ويمكن تسمية هذا سيناريو خال من المفاجآت،أو سيناريو الاستمرارية (السيناريو الخطّي)، أما السيناريو الثاني فيمكن أن يرتكز على افتراض أن الأشياء ستتحسن في المستقبل على ما كانت عليه في الماضي: يسمى السيناريو التفاؤلي، أما السيناريو الثالث فيمكن أن يتصور أن الأشياء ستسوء: ويسمى ذلك السيناريو التشاؤمي[16]. وهناك من يضيف سيناريوهات أخرى.

ويتم بناء السيناريو عبر الخطوات التالية[17]:

1.تحديد الظاهرة التي يراد دراستها .

2.تحديد السيناريوهات: حيث نبدأ باستعراض كل سيناريو.

3.عند بناء كل سيناريو نقوم بالخطوات التالية(استنادا إلى قاعدة إذا–فإن).

وقد دأب الباحثون على تطوير مفهوم السيناريو مستفيدين من العلوم التطبيقية، كما فعل وليام "رنفرو"**(W.Renfro)** والذي قسّم الأحداث المرتبطة بظاهرة معينة إلى نمطين تحدث/ لا تحدث **(Happen /Not Happen)** ، كما هو في نظرية الاحتمالات، فعندما نلقي قطعة نقود فإن احتمال سقوطها على أحد الوجهين هو 50 % و على الوجه الآخر 50%. وقد أخذ "رنفرو" هذه الفكرة ووضع تصوّراً لدراسة السياسات الدولية، وقسّم الأحداث المترتبة على هذه السياسات وتابع السيناريو على أساس[18] :

1.تحديد الأحداث المستقبلية المختلفة (حرب/ سلام، نمو اقتصادي/ كساد، اتحاد/ تفكك) وغيرها من هذه الثنائيات المختلفة.

2.تقييم كل واحدة من التصنيفات السابقة ثم ترتيبها على أساس النتائج المترتبة على التقييم، فعندما نضع احتمال الحرب نحاول أن نضع كل النتائج الممكنة المترتبة على هذه الحرب، ثم ندرس كل النتائج المترتبة على السلام... وهكذا. ثم نقوم بترتيب هذه التصنيفات استنادا إلى النتائج من خلال ما هو الاحتمال الذي تترتب عليه أكبر الأضرار، ثم الاحتمال الأقل منه ضررا، إلى أن نصل إلى أفضل الاحتمالات أو العكس، أن نبدأ بالأفضل نزولا حتى الأسوأ.

3.يتم تحليل النتائج على قاعدة يحدث/لا يحدث بمعنى تحليل النتائج المترتبة في حالة حدوث الحرب مثلا، ثم تحليل النتائج في حالة عدم حدوث الحرب و بقاء الوضع على ما هو عليه.

وفي دراسة أخرى وضعها "آرثر واسكو" **(Arthur Waskow)** من معهد الدراسات السياسية في واشنطن تم وضع سيناريو لإنشاء قوة بوليسية دولية لمنع نشوب الحروب بين الدول مستقبلا، فاقترح إنشاء ثلاث قوى أمنية مختلفة لكي تحفظ السلام الدولي في عالم منزوع السلاح. ثم تخيل الباحث أزمة دولية ليدلل على كيفية عمل هذه القوة للحيلولة دون تطور الأزمة إلى حرب، وتخيل الباحث سلسلة من الأحداث مثل المظاهرات والاضطرابات التي تؤثر على دولة مجاورة تسعى للتدخل في الأزمة و دولة ثالثة تهدد بالتدخل، ثم يبدأ يحدد كيفية عمل هذه القوة البوليسية ودورها وآثار تدخلها ... الخ. [19]

وإذا كان السيناريو يربط بالحاضر، بمعنى أننا ننطلق من الوضع الحالي وجربنا أن نقرر كيف يمكن لهذا الوضع أن يتطور، اعتمادا على التوجهات السائدة. وهذا الأسلوب، المعروف بالإسقاط هو امتداد طبيعي لأسلوب تحليل التوجهات كما أنه وسيلة مفيدة للبدء بالتفكير حول المستقبل. إلا أن هناك مقاربة أخرى لا تبدأ من حيث نحن الآن، ولكن تبدأ بالأحرى من حيث نرغب أن نكون في تاريخ ما في المستقبل. وحيث إن مثل هذا الأسلوب يرتبط بهدف أو معيار فإنه معروف بالاستشراف المعياري، أو بـــ" **الاستقراء إلى الوراء**"؛ لأننا نقوم بالاستقراء إلى الماضي من وضع ممكن في المستقبل بدلا من البناء انطلاقا من الحاضر [20].

ونبدأ في الاستقراء إلى الوراء، بافتراض هدف أو حدث أو ظرف محدد في المستقبل، ثم نحاول صياغة تسلسل خطوات أو مراحل لتفسير كيف يمكن أن تحصل هذه الخطوات في المستقبل المتخيل، ويمكن استخدام

الاستقراء إلى الوراء لنقرر إذا كان من المحتمل حصول الهدف أو الحدث المستقبلي في المستقبل المتَخَيَّل، ولنقرر في نفس الوقت كيف نستطيع إنجاز هدف نختاره [21]

عموما، تعطينا السيناريوهات أسلوبا ممتازا للتفكير بشكل منظم حول إمكانات المستقبل وتقييم احتمالاتها وإمكانات تحقيقها، كما تعطينا مجالا لتقييم الاستراتيجيات التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف المختارة. لكن تخيل السيناريوهات فيه تحدٍّ لقدرتنا الإبداعية، علينا أن نأتي بأفكار عديدة حول ماذا يمكن أن يحصل في المستقبل، إذ لا يمكننا توقع أن يكون المستقبل تكرارا للماضي. فالوتيرة الحالية للتغير الاجتماعي و التكنولوجي تجعل من الأكيد تقريبا أن يكون مستقبلنا مختلفا بشكل جذري عن ماضينا [22].لأنه قد تحصل أوراق غرائبية في مستقبلنا.

4.1. أهمية بناء السيناريو [23]:

1. أن السيناريو ينبهنا إلى كافة المشكلات المحتملة الظهور، لو وقع حدث ما أو أقدمنا على سلوك معين، لذا نجد أنفسنا أمام اختيارين :
   - إما أن نتخلى على الفكرة المطروحة أو الاقتراح.
   - أو الاستعداد لجعل المشكلات الناجمة عن الحدث المتوقع في حدها الأدنى.
2. أن السيناريو قد يساعدنا على تجنب الكارثة أو اقتناص الفرص المتاحة.
3. قد يؤدي السيناريو إلى تعبئة الآخرين في التخطيط أو التقويم لعمل ما، فالأفراد يميلون إلى الانغماس في وضع ما عندنا يجدون أنفسهم في مواجهة وضع حاد.
4. أن الانشغال ببناء السيناريو يؤدي إلى فك تعلقنا وارتباطنا بالماضي، و ندرك أن المستقبل لن يكون تكرارا للماضي، ولكنه يتيح سلسلة من الخيارات أمامنا والتي قد يكون بعضها مدهشا للغاية وبالتالي يصبح السيناريو أداة لتشكيل المستقبل. على أن كتابة السيناريو تحتاج بشكل أساسي إلى كم كاف من المعلومات عن الظاهرة، لكي يتم تحديد التداعيات المترتبة على كل سيناريو من السيناريوهات.

5.1. فوائد السيناريو:

إن لتوظيف منهج السيناريو في الدراسات المستقبلية فوائد متنوعة يمكن إجمالها في النقاط التالية[24]:

1. تعزيز القدرة التكيّفية من خلال الانتباه المسبق لما قد يتداعي نتيجة ظاهرة معينة، أي أن السيناريو يساعد على التفكير في التخلي أو المواصلة في مسار معين من خلال التصور للتداعيات.
2. يُضعف السيناريو من درجة التصاقنا بالماضي وتأثيره فينا، إذ ينبهنا السيناريو إلى أن المستقبل ليس تكراراً للماضي بل له قوانينه واحتمالاته التي قد تكون مختلفة تماماً أو نوعاً ما، وربما متطابقة أحياناً ومتنافرة أحيانا أخرى.

على أن الماضي ليس بُعدا مُهملاً في بناء السيناريو، إذ يُشبّه باحثو الدراسات المستقبلية العلاقة بين الماضي والسيناريو بالسائق والمرآة، فالسائق يُركّز نظره نحو الأمام، ولكنه إذا أراد الانعطاف إلى جهة ما ينظر في المرآة خلفه ليضمن سلامة الحركة، وهو ما يفعله واضع السيناريو الذي يكون تركيزه على المستقبل (الأمام) لكنه عندما يضع تداعيّاً معيّناً يستقي ذلك من مؤشرات يأخذها من التاريخ (المرآة).

من ناحية أخرى، يتناول الباحثون موضوع قياس آثار التدخل في سيناريو معين لتحويله نحو سيناريو آخر (من المحتمل إلى الممكن، أو من المحتمل إلى المفضل كمثال)، وهي العملية التي تُسمى تحليل تأثر سياسة ما[25]. ويتم اللجوء إلى هذا التحليل للتنبؤ بالآثار المستقبلية التي تترتب على التدخل في مسار ما لظاهرة معينة بهدف دفع ذلك المسار نحو السيناريو المفضل، ويجري إتباع عدد من الخطوات عند تنفيذ هذا التدخل وقياس نتائجه:

1. سرد الموضوعات التي يحتمل أن تبرز مستقبلاً، ولا يتم هنا سرد اتجاهات بل أحداث محتملة الوقوع فقط.
2. تحديد مؤشرات موضوعية لكل موضوع من موضوعات الدراسة.
3. تطوير التنبؤات الخاصة بكل مؤشر من المؤشرات السابقة، ويتم ذلك باستخدام التقنيات الأخرى المناسبة.
4. تقييم احتمالات حدوث كل تنبؤ من ناحية، وتقييم الآثار المترتبة عليه من ناحية أخرى.
5. دراسة أثر كل حدث من الأحداث المشار إليها سابقاً على المؤشرات الموضوعية من حيث تعزيز أو عرقلة احتمالات تحقق التنبؤ المرغوب.
6. تحديد وتقييم السياسات لتغيير احتمالية كل حدث من الأحداث الرئيسية المتوقعة وتأثيره.
7. تقييم السياسات وترتيبها طبقاً لفاعليتها في تحقيق السيناريو المرغوب.
8. تنفيذ السياسة التي تحقق الهدف المرغوب.
9. مراقبة مدى فاعلية السياسة المختارة.
10. تكرار الخطوات السابقة عند كل توجه نحو تعديل السياسات خلال المراحل المختلفة.

ثانياً: أهمية الماضي في رسم المستقبل

يمكن التفكير بالاستشراف على أنه فن تحويل معرفة الماضي إلى معرفة للمستقبل ، و يمكننا فعل ذلك باستخدام: ذاكرتنا، و ذكاءنا ، و تخيلنا ....إلخ . و كذلك المناهج الاستشرافية المعروفة . تاريخيا يمكن اعتبار "ثوسيديديس" **(Thocydides)** -أعظم مؤرخ في العصر الإغريقي – على أنه المستقبلي الأول ، لأنه لم يكتب التاريخ لسرد الأحداث من أجل إمتاع القارئ ، و لكن ليوفر دليلا للمستقبل، فقد كان "ثوسيديديس" يعتقد أن الاستشراف هو المهارة الأهم لدى الإنسان عندما يريد اتخاذ القرارات المهمة. و يرتكز الاستشراف على حسن معرفة ما حصل في الماضي، لأن أحداثا مماثلة يمكن أن تحصل في المستقبل، في هذا الإطار

يقول"ثوسيديديس": "أنا لم أكتب لأستجلب التصفيق المباشر، ولكن للأجيال القادمة، وسأكون راضيا إذا وجد طلبة هذه الأحداث، أو غيرها من الأحداث المماثلة...، في سردي فائدة لهم في المستقبل"[26].

ومنذ أيام "ثوسيديديس" يعود القادة السياسيون كل مرة للتاريخ، كدليل لهم في صنع القرارات التي تصنع مستقبل أممهم، ومن بين الرؤساء الأمريكيين كان الرئيس "وودرو ولسون" أستاذا في العلوم السياسية، و كان يستلهم التاريخ في محاضراته... و سواء تعلق الأمر بقادة الأمم أو الأعمال، أو حتى الأفراد أنفسهم، فإن الأشخاص سيجدون استرشادا مفيدا بما فعله القادة في الماضي و بعواقب تلك الأفعال، و يمكن لمثل هذه المعرفة أن تكون مفيدة لدرجة كبرى في اتخاذ القرارات الأفضل والأنسب في الظروف السائدة اليوم، لكن قد يجد أصحاب القرار المنشغلون بقضايا عديدة من الأسهل عليهم العودة إلى عبر التاريخ [27].

لا نحتاج إلى معرفة معمقة للتاريخ لندرك أن أحداثا رهيبة فعلا قد حدثت في الماضي، لهذا علينا أن نفترض أن المزيد من الرعب سيحدث في المستقبل إذا لم نطوِّر وسائل لتجنُّب تكرارها في المستقبل، و دراسة الأحداث المرعبة الماضية، هي ربما الخطوة الأولى لتجنب تكرارها في المستقبل، لأننا نستطيع البدء بالبحث عن الأدوات الفعَّالة لتجنب مثل هذه الأحداث أو للتخفيف من أضرارها. وتقصي أحداث الماضي يمكن أن يساعدنا كثيرا في المستقبل لأنه يمكن أن يساعد في تجنب كوارث المستقبل. وإذا لم نستطع منع الكوارث بالكامل ربما استطعنا إيجاد طرق للتخفيف من احتمالات حدوثه[28].

الخاتمة:

تبقى الدراسات المستقبلية من المجالات الصعبة والمستعصية على التحليل كونها تتعامل مع زمان لم يصل بعد عكس الحاضر والماضي الذي يمكن الوصول إلى تفاصيلهما، إلا أن التسلح بمجموعة من التقنيات والضوابط المنهجية من شأنه أن يخفف هذا الاستعصاء ويذلل العقبات أمام الباحثين، فحُسن التوظيف والدراية الكافية بضوابط العمل خلال مراحل بناء السيناريوهات وعدم إغفال التقنيات الأخرى المساعدة سواءً الكمية أو الكيفية من شانه أن يقود جهود الباحثين إلى بناء السيناريو الأقرب للحدوث.

كما أن أحد مسلّمات الدراسات المستقبلية هو عدم استبعاد أي تصور مهما لدا غريباً، لاسيما في مجال التكنولوجيات أو المجالات الاجتماعية أو السياسية، وأي استبعاد لتصورات ما يكون بعد تبني خطوات منهجية دقيقة، والمراجعة الدورية للاحتمالات المتوقعة للأحداث والظواهر هي مصدر قوة الدراسات المستقبلية لأن التغيرات الحاصلة على مستوى الواقع لابد أن تكون مقاربة لهذه الاحتمالات الموضوعة.

والتدريب على استعمال مختلف تقنيات التنبؤ بالمستقبل ضرورة ملحة لمختلف الباحثين في التخصصات المخلفة و خاصة في العلاقات الدولية ؛ بالإضافة إلى الأهمية الإستراتيجية للتنبؤ بالمستقبل لصناعة تصورات إستراتيجية للدول و الحكومات و حتى الأفراد، من أجل صناعة مستقبل مدروس و مؤسس على رؤى علمية

قادرة على وضع صانع و متخذ القرار في العلاقات الدولية في وضع مؤسس و قادر على صناعة المستقبل ، لأنه إذا لم تصنع مستقبلك فإن الآخر هو الذي يصنع لك هذا المستقبل.

الهوامش:

[1] المهدي المنجرة، ندوة الجزائر حول قضايا المستقبل الإسلامي، مركز دراسات المستقبل الإسلامي بمساعدة مركز الدراسات الإستراتيجية الشاملة، ماي 1990، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 08.

[3] د. إبراهيم سعد الدين عبد الله وآخرون، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ،1982، ص 23.

[4] د.إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية، الكويت، منشورات ذات السلاسل،1987، ص38.

[5] روبرت بالدوك، ماذا يخبئ المستقبل؟ ، تعريب: أحمد الجميل، مكتبة العبيكان، ط1، 2003.

[6] رتشارد واطسون، ملفات المستقبل: موجز في تاريخ السنوات الخمسين المقبلة، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة: مشروع "كلمة"، ط1، 2012.

[7] لورنست سميث، العالم في العام 2050، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2012.

[8] إدوارد كورنيش، الاستشراف: مناهج استكشاف المستقبل، ترجمة: حسن الشريف، الدار العربية للعلوم ناشرون، مكتبة مدبولي، ط1، 2007، ص 33.

[9] المرجع نفسه، ص 39.

[10] قاسم محمد النعيمي، المستقبل والاقتصاد في الدراسات المستقبلية، مجلة كلية التجارة والاقتصاد، جامعة صنعاء، عدد 15-16 ، من الموقع: .www.26sep.net/newsweekarticle

[11] رحيم الساعدي، مقدمة إلى علم الدراسات المستقبلية، بيروت: دار الروافد الثقافية_ ناشرون، ط01، 2003، ص 124.

[12] إبراهيم العيسوي، الدراسات المستقبلية ومشروع مصر 2020، القاهرة، القاهرة: معهد التخطيط القومي، 2000م، ص 53.

[13] إدوارد كورنيش، مرجع سابق، ص 35.

[14] المرجع نفسه ، ص 36.

[15] المرجع نفسه، ص 149.

[16] المرجع نفسه، ص 155.

[17] وليد عبد الحي، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، المركز العلمي للدراسات السياسية، ط1، 2002، ص 119.

[18] المرجع نفسه ، ص 121.

[19] المرجع السابق، ص 121

[20] إدوارد كورنيش، مرجع سابق،ص 158.

[21] المرجع نفسه، ص 158.

[22] المرجع نفسه ص 167.

[23] وليد عبد الحي ، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، مرجع سابق ،ص 123.

[24] وليد عبد الحي، مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط 01، 2007، ص 26.

[25] المرجع نفسه، ص 27.

[26] إدوارد كورنيش، مرجع سابق، ص 187-208.

[27] المرجع السابق ، ص 208-209.